من التمييز والاضطهاد فلا يعود يرى فيه وحشا او سوبرمانا أو قزما او مضطهدا . وعبر هؤلاء استشعر الفلسطيني للمرة الاولى الفارق الانساني الحقيقي بين اليهودي والصهيوني — فلم يعد هذا الفارق مجرد عبارة تتردد .

وادت مقابلة هؤلاء اليهود للفلسطينيين الى عودتهم الى الصحة العقلية ، وشفائهم من فصام الشخصية الخلقي الذي فرضته الصهيونية على اليهود تجاه الفلسطينيين « ما هو خير لليهود وليس خيرا للفلسطينيين » . لقد استطاعوا أن يحبوا الفلسطينيين ، ويشاركوهم نضالهم ويعتنقوا قضيتهم العادلة دون أن يكونوا « قاتلي يهود » او « ماسوكيين كارهين للذات » ، كما سمى الاسرائيليون بحنق عددا من الطلبة الصهيونيين الاميركيين والاوروبيين الذين اشتركوا في مؤتمر الاتحاد العالمي للطلبة اليهود في عراد باسرائيل في تشرين الاول (اكتوبر) المنصرم وصوتوا الى جانب اقتراح يدعو الى الاعتراف بحقوق الفلسطينيين العرب كجزء متضمن في صلب الايديولوجية الصهيونية ، على ما في ذلك من تناقض(٢٧) .

يبقى أن يفعل الشيء الكثير في هذا المضمار . اذ يجب على المقاومة الفلسطينية أن تخاطب اليهود وتخلق من بينهم الاصدقاء الذين خلقتهم الجزائر من بين الفرنسيين في فرنسا . وهذا بحد ذاته واحد من العوامل المؤثرة في تحقيق الدولة الموحدة وفي الحفاظ عليها .

الدولة الديمقراطية والدولة الفلسطينية العميلة

والآن ونحن نقترب من خاتمة مقالنا ، يتعين علينا أن نقوم بعملية تقييم . أين تقف اليوم هذه الرؤيا لفلسطين الغد ؟ أهي تتقدم أم تتأخر ؟ هل حققت مكاسب في السنتين الاخيرتين ؟ لا يمكن أن يكون جوابنا دقيقا وقاطعا ، ولكن علينا أن نحاول تقييما كهذا .

(١) واجهت حركة المقاومة الفلسطينية عددا من النكسات الخطيرة في العام ١٩٧٠ . فمن جهة عانت المقاومة داخليا من افتقارها الى الوحدة والتماسك وفقدانها للفعالية . وبدا أن نموها وتطورها قد توقف مؤقتا على الاقل بفعل التيارات الداخلية وفقدان المبادرة والتشوش . ومن جهة أخرى، كان اعداء المقاومة يقوون ويصبحون أكثر قدرة. فقد تلاشت المفاجأة التي حدثت في البداية وبدأت الامبريالية الاميركية والصهيونية تكيفان نفسيهما للوضع الجديد سياسيا وعسكريا .

(٢) كانت اميركا مصممة على تجريب استراتيجية « الفتنمة » في الشرق الاوسط على غرار تجربتها في فيتنام . فكان أن لجأت في هذه الحالة الى «أردنة» الصراع الفلسطيني، وذلك بقيامها بمساعدة الجيش الاردني ليقاتل الفلسطينيين فيتحول الصراع الى صراع بين العرب ، وبذلك تخفف العبء عن اسرائيل وتمهد السبيل نحو تسوية سلمية . ولقد تتوجت هذه الاستراتيجية بمجزرة ايلول للفلسطينيين في الاردن وعاقبتها المأسوية .

(٣) جرى تقديم وتلفيق بديل قوي للدولة الديمقراطية هو الدولة الفلسطينية المنفصلة على اجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة (وهو ما سنسميه فلسطينستان) فيعترف بالفلسطينيين كشعب له حقوق تقرير المصير ما دام ذلك يبقي على اسرائيل كما هي مضافا اليها بعض الاراضي التي تحتاجها لاغراض الامن وتتدفق التجارة بين البلدين وبينهما وبين باقي العالم العربي . وتصبح الاوضاع في المنطقة طبيعية ، وفي النهاية وخلال فترة طويلة من الزمن يمكن ان يؤدي التطور الطبيعي الى اتحاد البلدين في المستقبل في دولة موحدة . ان هذا التوجه الجديد يقدم في كل مكان ، يقدم للفلسطينيين وللعرب بشكل عام وللعالم أجمع ، ان لم يكن على اساس كونه حلا جديرا مرغوبا فعلى أساس أنه ممكن التحقيق ويمثل ضرورة سياسية .

(٤) من جهة أخرى ، تقف الى جانب فكرة الدولة الديمقراطية العوامل التالية : تنامي الاعتراف العالمي بالفلسطينيين وبحقوقهم القومية الذي بلغ أوجه في قرارات الجمعية